

تفسير البحر المحيط

@ 227 { أَنْ لَّسَمَ يَكُنْ } لأن المعاصي أو الإهلاك ليس معللاً بأن لم يكون وجوزوا في ذلك الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي ذلك الأمر ، وخبر محذوف المبتدأ أي الأمر ذلك والنصب على فعلنا ذلك وإن لم يكن تعليل ويحتمل أن تكون أن الناصبة للمضارع والمخففة من الثقلية أي لأن الشأن لم يكن ربك وأجاز الزمخشري أن لا يكون { أَنْ لَّسَمَ يَكُنْ } تعليلًا فأجاز فيه أن يكون بدلًا من ذلك كقوله : { وَقَضَيْدَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هَوُوءَ مَقْطُوعٌ } فإذا كان تعليلًا فهو على إسقاط حرف العلة على الخلاف أموضعه نصب أو جر وإن كان بدلًا فهو في موضع رفع ، لأن الزمخشري لم يذكر في ذلك إلا أنه مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وبظلم يحتمل أن يكون مضافًا إلى أي طالما لهم كقوله : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِدَكَ الْقُرَى بِطُلُمٍ وَأَهْلُهُا مُصْلِحُونَ } ومعنى { وَأَهْلُهُا غَافِلُونَ } أي دون أن يتقدم إليهم بالندارة { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُطْلَمَ لِّلْعَبِيدِ } ويحتمل أن يكون مضافًا إلى القرى أي طالمة دون أن ينذرهم وهذا معنى قول القشيري أي لا يهلكهم بذنوبهم ما لم يبعث إليهم الرسل وهذا الوجه أليق لأن الأول يوهم أنه تعالى لو آخذهم قبل بعثة الرسل كان طالما وليس الأمر كذلك عندنا لأنه تعالى يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، وعند المعتزلة لو أهلكهم وهم غافلون لم ينتهوا بكتاب ولا رسول لكان طالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح . وقيل : { بِطُلُمٍ } { بشرك من أشرك منهم فهو مثل { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } . وقال الماتريدي : أي لم يكن يهلكهم بظلم أنفسهم إهلاك استئصال وتعذيب لا بعد تقدم وعيد أو سؤالهم العذاب ، ولا يهلكهم مع الغفلة عن الظلم والعصيان لأنه يجوز له ذلك بل سنته هكذا لئلا يقولوا : لولا أرسلت إلينا وكل ذلك فضل منه ورحمة . وقال مجاهد : لا يهلكهم بظلم بعضهم بعضًا وقيل : بظلم واحد منهم . وقيل : بتجسس الظلم حتى يرتكبوا مع الظلم غيره مما لا يرضاه [من سائر القبائح ذكره التبريري . ومعنى { وَأَهْلُهُا غَافِلُونَ } أي لا يبين لهم كيفية الحال ولا يزيل عددهم وليس المعنى أنهم غافلون عما يوعظون به . . { وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّاءٌ عَمَلُوا } أي ولكل من المكلفين مؤمنهم وكافرهم درجات متفاوتة من جزاء أعمالهم وتفاوتها بنسبة بعضهم إلى بعض أو بنسبة عمل كل عامل فيكون هو في درجة فيترقى إلى أخرى كاملة ثم إلى أكمل ، والظاهر اندراج الجن في العموم في الجزاء كما اندرجوا في التكليف وفي إرسال الرسل إليهم . قال الضحاك : مؤمنو الجن في الجنة كمؤمني الإنس . وقيل : لا يدخلون الجنة ولا النار يقال لهم كونوا ترابًا فيصيرون ترابًا

كالبهائم . وقال ابن عباس : جزاء مؤمني الجن إجارتهن من النار . وقال أبو حنيفة : ليس للجن ثواب لأن الثواب فضل من الله فلا يقال : به لهم إلا ببيان من الله ولم يذكر الله في حقهم إلا عقوبة عاصيهم لا ثواب طائعهم وخالفه أصحابه أبو يوسف ومحمد فقالا : لهم ثواب على الطاعات وعقاب على المعاصي ودليلهما عموم الكتاب والسنة . وقيل : ولكل من المؤمنين خاصة . وقال الماتريدي : ولكل من الكفار خاصة درجات دركات ومراتب من العقاب مما عملوا من الكفر والمعاصي ، لأنه جاء عقيب خطاب الكفار فيكون راجعاً إليهم . .
{ وَمَا رَبُّكَ بِغَفَّارٍ لِّ عَمَّاتٍ يَعْمَلُونَ } أي ليس بساه بخفي عليه مقادير الأعمال وما يترتب عليها من الأجور وفي ذلك تهديد ووعيد . وقرأ ابن عامر : تعملون بالتاء على الخطاب . .

{ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ } لما ذكر تعالى من أطاع ومن عصى والثواب والعقاب ذكر أنه هو الغني من جميع الجهات لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، ومع كونه غنياً هو ذو الرحمة أي التفضل التام . قال ابن عباس : { ذُو الرَّحْمَةِ } بأوليائه وأهل طاعته . وقيل : بكل خلقه ومن رحمته تأخير الانتقام من العصاة . وقيل : { ذُو